(مقاربة آلان توران "Alain Touraine" حول العمل والتنظيمات)

د/ أحمد مداس ، جامعة الجلفة

ملخص:

يمكن أن نلاحظ أن عالم الاجتماع "الان توران" قد أعطى طموحا وامتدادا متميزا لعلم الاجتماع او السوسيولوجيا في ميدان العمل خصوصا بتأكيده لمبدأ التخصص والتركيز على الافعال الاجتماعية المرتبطة بما هو تاريخي اي صراع الطبقات او ما نسميه بالحركات الاجتماعية، وقد يقترب في هذا الشأن من المدرسة الماركسية ولكنه حقيقة يتميز عنها بكونه يرى ان الحركة الاجتماعية الجديدة هي نتاج وعي الفاعل الاجتماعي واستقلاله الذاتي اذ لا تتشكل على حد تعبيره بما هو سياسي فقط وإنما بمدى تأثيرها في المجتمع ككل .

كلمات مفتاحية: مقاربة آلان توران، العمل، التنظيمات.

Résumé:

Si nous voulons nous rapprocher de la pensée sociologique d'Alain Touraine, nous apportons une contribution profonde au sociologue, y compris la sociologie des nouveaux mouvements sociaux caractérisés par une forme d'organisation et de continuité et la sociologie de l'action libérant l'acteur des contraintes du système social et de ses idéologies. La sociologie en tant que science a une présence forte et déclarée au cœur de la vie sociale .

Mots-clés: Approche de -Alain Touraine- , travail, organisations.

تمهيد :

يحظى عالم الاجتماع الفرنسي آلان توران **Alain Touraine** بشهرة واسعة انطلقت من اوربا وصولا الى أمريكا اللاتينية حيث تتسم اسهاماته في ميدان العمل ، التنظيمات والحركات الاجتماعية.. بالعمق والتحليل المنطقي حيث اكد انتماه الفعلي للسوسيولوجيا مجددا فكرة التخصص ومنتقدا السوسيولوجيا التقليدية ومبادئها القائمة على تكريس سيطرة النظام الاجتماعي على الفاعلين .. سوف نقتصر في هذا المقال العلمي على تشكيل اهم ملامح ومقاربات الان توران حول قضية العمل ، التنظيمات والحركات الاجتماعية على وجه الخصوص ..

1 من هو الان توران ؟

ولد آلان توران **A.Touraine** سنة 1925 بمدينة "كان" بفرنسا عمل باحثاً في المجلس الوطني للبحوث الفرنسية حتى سنة 1958 ، أسس في سنة 1960 مركز دراسات علم الاجتماع العمل في جامعة تشيلي ، تقلّد عدة مناصب بيداغوجية وادارية حيث ترأس وانظم الى العديد من مراكز البحث واللجان كلجنة الرعاية بالتعاونية الفرنسية العشرين من اجل الثقافة ، ولجنة التوجيه العلمي بالمؤسسة الاوربية .. يعد آلان توران أب علم الاجتماع الفرنسي والأوربي المعاصر على حد تعبير المهتمين ، أجرى عدة ابحاث ودراسات فكانت اولى ابحاثه تحت اشراف **جورج فريدمان Fredmane** في رسالة الدكتوراه ، كما اجرى بحوث ميدانية في ورشات العمل والمؤسسات التنظيمية التي تضطرب فيها ظروف العمل ، واهتم اكثر بدراسة وتحليل دور النقابات والحركات العمالية وتأثيراتها المختلفة ، ومن ذلك دراسته للحركات العمالية الجديدة بفرنسا من أجل التعرّف على طبيعة هذه التظاهرات

الاجتماعية حيث اكد انها تخلق ثورة ضد العناصر المسيطرة في المجتمع ، اضافة الى دراساته وأبحاثه الميدانية التي جمعها في العديد من المؤلفات منها : الوعي العمالي سنة 1966 ، انتاج المجتمع سنة 1973 .. [322] نقد الحداثة سنة 1998 Critique de la modernité، براديغم جديد(من أجل فهم عالم اليوم) 2005 ، الحركات الاجتماعية ، ما هي الديمقراطية؟ وعدة مؤلفات أخرى.. حصل في سنة 1998 على جائزة "أمالفي"Amalfi الأوربية لعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية ، وفي عام 2004 تلقى آلان توران **A.Touraine**درجة الدكتوراه الفخرية من جامعة "فالبرايسو" في تشيلي، وفي سنة 2006 تلقى درجة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الوطنية في "سانت مارتن"، وفي ديسمبر 2006 من جامعة كولومبيا الوطنية ، وفي سنة 2008 تلقى أيضا درجة دكتوراه فخرية من جامعة "مايوردي سان ماركوس" في ليما.. [323]

2 المفاهيم الأساسية حول العمل والتنظيمات عند الان توران :

رغم البحوث والدراسات إلا ان مقاربة العمل ظلّت إلى حدود نهاية السبعينيات من القرن العشرين بعيدة عن الانتباه إلى أهميّة الفوارق أو الاختلافات بين العمال . ويكمن تفسير ذلك في رأي بعض الدارسين في انطواء علم اجتماع العمل على موضوع العمل نفسه وتحديدا العمل الصناعي ، واعتبار عمليّة دراسته المفتاح الوحيد لفهم ما يجري داخل المجتمعات الغربيّة [324] لكن اسهامات **آلان توران A.Touraine** اعطت دفعا جديدا لهذه القضايا حيث يرى أن السبيل الوحيد لتحويل التطّور التقني إلى تطور اجتماعي يكمن في فتح آفاق المسيرة المهنية للعمال ، ولذلك يرأى **توران** أن قناعتهم بجدوى خدمة التجديد التكنولوجي لمصالحهم مرتبطة بما يمكن أن يفتحه لهم ذلك التجديد التكنولوجي من فرص للرقي وتحسين أوضاعهم ، فيُنظر له بذلك كعنصر يخدم وجود العامل الإنسان ولا يهدمه . وتبعًا لذلك يرى أن حلّ مشكلات مؤسسات العمل ليس بيد مكاتب الخبرة الموجودة خارجها، ولكنها في متناول الهياكل والمصالح الداخليّة للمؤسسة كمجلس إدارتها وسائر هيئاتها الادارية وقد اعتمد **A.Touraine** تحديدًا زمنيًّا أعاد فيه تصوّر تاريخ تطوّر التصنيع ، عبر تحديده لثلاث حقب أساسية رأى أن سماتها تتحدد من خلال ثلاثة مؤشرات مركزيّة ، وهي : طبيعة العمل ، علاقة الإدارة بمؤسسة العمل ، الرغبة في مراقبة ثمرة العمل ونتائجه. [325]

لذلك يعتبر ألان توران" **A.Touraine** اول من نَظّرَ لمقاربة الفعل الإجتماعي من خلال كتابه" علم إجتماع الفعل Sociologie de l'action الذي كتبه عام 1963 ، وكتابه الأخر" إنتاج من المجتمع " Production de la société" عام 1973 الذي مكنه من التطرق للحراك الاجتماعي ومدى أهمية المعاني التي يعطيها له الفاعلون الاجتماعيون ، وأن هذا الحراك هو الذي يحدث الإنتاج المجتمعي وفي ذلك يقول" ألان توران **Alain Touraine"** إن المنظمة هي نتاج سياق تاريخي ويجب تحديد معالمه وحدوده . والسياق التاريخي الذي حدد" توران "معالمه هو الصراع الاجتماعي والصراع الطبقي، ومحاولة مجموعات اجتماعية السيطرة على مجموعات أضعف ، وان المنظمة ما هي إلا انعكاس لصورة مجتمعها لذا فان أي دراسة لمنظمة ما تحتاج الى الإلمام بالعوامل التاريخية الخاصة بها . لكنه يعترض على تقديم الفعل التاريخي على أنه عائق في حالة معرفة التطوير والتغيير كما يبقى الباحث حبيس

الصراع الإجتماعي ، و يضيف أنصار تحليل الفعل الاجتماعي أن مقاومة التغيير هي في حد ذاتها نتاج الصراعات التاريخية [326]. ان هذا النسق الإجتماعي كما يقول **آلان توران A.Touraine** له القدرة على التأثير على نفسه من أجل تغيير نفسه بنفسه [327] وفي دراسة ميدانية قام بها **آلان توران A. Touraine** حول مصنع **رونو** توصل في النهاية الى خلاصة مفادها أن لكل نسق إنتاجي مميزاته الخاصة من حيث تنظيم العمل، مضمون المهام والعمليات التي يقوم بها العامل، ودرجة الحرية والاستقلالية التي يتمتع بها كل عامل داخل المؤسسة سواء في علاقته بالآلة أو بتفاعلاته الإجتماعية مع باقي الفئات العمالية الموجودة في المجال الإنتاجي، وانطلاقا من ذلك توصل إلى أن العمل الصناعي منذ ظهوره إلى المرحلة الأخيرة منه عرف ثلاث مراحل أساسية وأطلق عليها :

- المرحلة أ A وتمثل المرحلة المهنية
- المرحلة ب B وتمثل المرحلة التقنية، أي مرحلة التنظيم التقني للعمل
- المرحلة ج C وتمثل المرحلة التي تتميز بالتأهيل العالي أو المرحلة التي تتطلب الخبرة العالية [328]. وسوف ناتي على تفصيل هذه المراحل

2 سسيولوجيا الحركات الاجتماعية :

قبل الاشارة الى تحليل وموقف آلان توران . **A. Touraine** " للحركة الاجتماعية نستعرض اسهامات اهم الباحثين في هذا الشأن حيث حدد كل من **تيرنر وكيليان** الحركة الاجتماعية على انها فعل جمعي له القدرة على دفع عملية التغير الاجتماعي الى مراحل متقدمة او مقاومتها وعدم مساعدتها للوصول الى ما تصبو اليه .. ويرى **جيمس ميكي** ان الحركة الاجتماعية تتسم بالتعقيد حيث يصعب ملاحظة وتتبع نشاطها لأنها تتسم بالمرحلية خلال دورة حياتها لان دراسة نشاط واحد خلال فترة زمنية واحدة غير كاف لإعطاء صورة وافية عنها [329] وقد ارتبط الضبط السوسيولوجي لمفهوم الحركة الاجتماعية بتوجهين مختلفين يصفه بعض علماء الاجتماع بالفعل الأداة الذي له غاياته و أبعاده السياسية الطامحة لبلوغ جوهر النظام والتمركز ضمنه ، في حين ينظر إليه البعض الآخر نظرة أكثر اتساعًا، تحمل في طياتها دلالات أشمل ترتبط بكل فعل احتجاجي يرمي إلى مراقبة المسار العام للحياة الاجتماعية، ويرتبط المعنى الأول بالتفسيرات التي عرفها مفهوم الحركة الاجتماعية مع بداية ستينيات القرن العشرين اما المعنى الثاني فيرتبط بنهاية الستينيات من نفس القرن، وتحديدًا بعالم الاجتماع الفرنسي " آلان توران . **A. Touraine** "ومن المهم الإ شارة إلى استبعاد التعريفين للحركة الاجتماعية لمفهوم" التناقض"، الذي كانت بعض المقاربات الماركسية تصرّ على ربطه بكل فعل له صيغة تحرّك اجتماعي، بوصفه من وجهة نظرها كنتيجة لتناقضات النظام الرأسمالي . وقد تمّ بعد هذه المراحل التاريخية اعتماد مفهوم محدّد للحركة الاجتماعية يرتبط بضرورة معرفة الفاعلين الاجتماعيين بغايات فعلهم واحتكامهم إلى وسائل ملموسة لبلوغ تلك الغايات ، واعتبار أفعالهم ذات معنى ودلالة ، وهو ما أفضى إلى بروز تيار فكري يرفض اختزال الحركات الاجتماعية في كونها مجرّد نتائج لتناقضات منظومة معينة [330]. ومن ناحية اخرى اعتمد **هربرت بلومر** على مبادئ

التفاعلية الرمزية في دراسة العديد من القضايا الاجتماعية فقد صاغ تصورا عن الحركات الاجتماعية باعتبارها سلوكا منظما من صور السلوك الجماعي حيث اهتم بتحليل ومناقشة كيفية تكوين الحركات الاجتماعية وفي ذلك ركز على ضرورة وجود ايديولوجيا معينة يلتف حولها الافراد لتكون بؤرة لاهتماماتهم ، فدرس مشاكل التميز العنصري الداعم لتشكيل الحركات الاجتماعية ومنه ميز بين الحركة الثورية والإصلاحية باعتبار ان هدف الاولى هو تغييب جوانب محددة من النظام الاجتماعي العام اما الثانية فتهدف الى اعادة بنائه من جديد وهي الافكار التي عرضها في كتابه السلوك الاجتماعي سنة 1951 .[331] اما **ميشال كروزي** فيؤكد ان الأجواء المختلفة التي يمكن أن تسود الحركات العماليّة في مختلف الدول الغربيّة تنطبق على نقاط التباين بين الثقافات التي تشارك فيها تلك الحركات . فعلى سبيل المثال فإن طابع الشكليّة الذي تتسم به النقابات الأنجلوسكسونيّة ، وتقيّدها غير المشروط بالمراعاة الصارمة لقواعد اللعبة ، يتعارض مع الاعتباطيّة الفوضويّة والتسلّطية التي تسود الاجتماعات والمؤتمرات في البلدان اللاتينية. ويشير **لاباساد** (Lapassade) إلى أن إرادة القاعدة في المشاركة والإدارة تتضاءل كلّما تضاءل الإكراه والتسلّط في العمل... ويضيف أن الباحث في ميدان العلوم الاجتماعية يستطيع بسهولة أن يكتشف هذه الظاهرة في المجتمعات البيروقراطيّة .[332]

يعتقد **الان توران A.Touraine** أن الحركة العمالية حركة اجتماعية في قالب عمالي تتحدد بالدافع المتمثل في استقلال العمال عن تنظيم العمل الذي يسعى إلى الترشيد وبذلك لا تكتفي الحركة العمالية بالمطالبة بالتفاوض لتوقيع اتفاقيات جماعية إنما تنادي بالدفاع عن الذات العمالية * في مواجهة الترشيد الذي لا ترفضه وإنما ترفضه عندما تراه متطابقا مع مصالح أرباب العمل ويضيف **الان توران A.Touraine** ان هذه الحركات عادة ما تتعرض للتمزق بعد تشكيلها لصعوبة جمعها بين العقلنة وتحقيق الذات[333] ومنه فالحركة الاجتماعية حسب توران **A.Touraine** هي الفعل الجماعي الذي من خلاله يناضل الفاعل الطبقي من أجل التوجيه والقيادة الاجتماعية أو التوجيه الثقافي للمجتمع من أجل التحكم في التوجهات الكبرى للتغير الاجتماعي [334] وحسب **الان توران A.Touraine** مرت الحركة العمالية بمجموعة من المراحل على شكل انساق الانتقال فيها تطوري وتدريجي وهي :

- **مرحلة النسق الاحترافي** : وتتميز بوجود فرق واضح بين المسير والعامل، وتظهر فيها استقلالية العامل المحترف، وتاهيله العالي الذي يمكنه من ممارسة سلطته في اتخاذ القرار
- **مرحلة النسق التقني** (التايلورية والفوردية) : كانت مع نهاية القرن 19 م حيث تم فيها تقسيم المهام من تصميم وانتاج وتسيير ...اضافة الى نزع سلطة القرار من العامل ومنحها للمهندس تحديدا
- **مرحلة النسق الاتوماتيكي** : من مميزات هذه المرحلة ان العمال اصبحوا يسيرون الالات الحديثة كالروبوهات وتم فيها ربط العمل بخصائص المراقبة والاتصال الفعال وتكاد تكون هذه الخصائص شخصية اكثر منها مهنية [335] اما عن الموقف العمالي من المراحل السابقة فنلخصه في الجدول التالي[336] :

- المقصود بالذات العمالية الدفاع عن كرامة العمال

جدول يوضح موقف العمال من المراحل الحركة العمالية

المرحلة	الموقف العمالي	الوعي المطلبي
الاولى	العمال في المركز الاقتصادي	المطالبة بتقسيم الارباح
الثانية	عمال غير مؤهلين كثافة في مكان واحد الاستمرارية في العمل	مطالب عامة
الثالثة	عزل العمال في اماكن خاصة زيادة وعي فردي وضعية عقلانية	مطالب خاصة (لكل مجموعة مطالبها) ضعف النقابات (من نقابة المطالبة الى نقابة المشاركة فهي اقل تعبيرية لكنها اكثر عقلانية

لقد أكد **ألان تورين A.Touraine** على أهمية الفاعلين الاجتماعيين في التأثير على التوجهات العامة للمجتمع حيث ان ما يقومون به ليس مجرد ردود أفعال اتجاه المؤسسات الاجتماعية ولكنهم ينتجونها بناءا على توجهاتهم الثقافية ولذلك لا يمكن الاستمرار في النظام الاجتماعي الذي هو حجر الزاوية، ولكن في شكل صراع بين الفاعلين الاجتماعيين من أجل إعادة بناء اجتماعي مبني أساسا على التوجهات الجديدة، التي تأتي بها الحركات الاجتماعية المؤثرة، وما يميز موقف **توران** حولها انها لا تنحصر في شكلها ودورها النقابي كما كان ذلك في المجتمعات الصناعية إذ تتخذ أشكالا جديدة قادرة على التأثير في الرأي العام وفي التوجهات العامة للمجتمع.[337] ويصف **توران** المؤسسات بكونها وسائل ضغط وإكراه وأماكن للنقاش والمفاوضات، حيث يتحدد فيها سلوك أفراد الطبقات الاجتماعية خاصة المسيطرة منها وبذلك تنشا المشاكل الاجتماعية داخل التنظيم حيث لا توجد فرصة للأعضاء للتعبير عما يعتريهم ومنه يظهر التمايز بين الطبقات الاجتماعية ومنه يرى **الان توران** أن التنظيم فضاء لحدوث مفاوضات دائمة بين الأعضاء وبين المؤسسة وتفاعل دائم مع بقية المؤسسات الأخرى، وخاصة الحكومية منها . يقترح **توران** لدراسة الحركات الاجتماعية أداة الملاحظة بالمشاركة ودراسة الوضعيات فهي اصل السلوك الاجتماعي، ويستعين بالتحليل الذاتي أي الارتكاز على شهادة الفاعلين وتحليلاتهم الخاصة . وحسب توران يعمل الفاعل على خلق وضعيات ويؤكد على اهمية الوعي لخلق القدرة على الابداع [338] ولفهم دور الفاعل الاجتماعي اكد **توران** على تحرير الذات التي تشكل عصب الحركات الاجتماعية الجديدة التي تقوم بإنتاج المجتمع هذا التصور الذي يجعل علم الاجتماع الجديد يختلف نوعيا عن علم الاجتماع الكلاسيكي كما جاء به **دوركايم** و**أوغيست كونت** الذي يتناسب مع المجتمعات الرأسمالية اكثر من غيرها [339]

نستنتج ان **الان توران A.Touraine** يوسع مفهومه للحركة الاجتماعية الى خارج المؤسسات العمالية والادارية ويطبقه على كل المجتمعات وقد كان ذلك في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي كدراسة الحركات النسائية والحركات المعادية للنووية ...ومن خصائص الحركات الاجتماعية حسب توران نجد :

أ مبدا الهوية :

يتمثل في اجماع فاعلوا الصراع على قيم ومواقف مشتركة للتعريف بذواتهم.

ب مبدا المعارضة :

يتمثل في تحديد الخصم وكيفية مواجهته.

ج مبدا الشمولية :

ويتمثل في ان الهدف وراء المطالب يجب ان يكون عاما شاملا دون تجزئة [340].

خاتمة :

يمكن ان نلاحظ ان عالم الاجتماع الان توران قد اعطى طموحا وامتدادا متميزا لعلم الاجتماع او السوسيولوجيا في ميدان العمل خصوصا بتأكيده لمبدأ التخصص والتركيز على الافعال الاجتماعية المرتبطة بما هو تاريخي اي صراع الطبقات او ما نسميه بالحركات الاجتماعية ، وقد يقترب في هذا الشأن من المدرسة الماركسية ولكنه حقيقة يتميز عنها بكونه يرى ان الحركة الاجتماعية الجديدة هي نتاج وعي الفاعل الاجتماعي واستقلاله الذاتي اذ لا تتشكل على حد تعبيره بما هو سياسي فقط وإنما بمدى تأثيرها في المجتمع ككل .

هوامش :

1 الزبير بن عون ، **تحليل سسيولوجي للصراع في الهيئات المحلية المنتخبة** ، شهادة ماجستير غير منشورة ، قسم العلوم الاجتماعية كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر 2011/ 2012 ص 128 .

2 موسوعة الويكيبيديا الحرة نقلا عن الموقع :ar.wikipedia.org

Michel De Coester et François Pichault, **traité de sociologie du travail**. De 3BoeckUniversité, II édition, Paris 1988 p.49.

4 Ibid, p.45.

5 شابر محمد كريم ، **محاولات التغيير الثقافي في أنماط إدارة الموارد البشرية** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر قسم علم الاجتماع ، 2008/2007 ص28 .

. Alain Touraine, **Pour la sociologie**, OPCIT, P: 97 **6**

7 محمد المهدي بن عيسى ، **ثقافة المؤسسة** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم علم الاجتماع ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2005/2004 ص 187

8 معن خليل العمر ، **الحركات الاجتماعية** ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط1 ، رام الله فلسطين ، 2010 ، ص ص 49-51

9 عائشة التايب . **الثورة الرقميّة المضادة : مقاربة سوسيولوجية لجرائم الفضاء الإلكتروني**"، مجلّة إضافات . الجمعية العربية لعلم الاجتماع ، بيروت ، العدد الأوّل ، جانفي 2008 م ، ص ص 166 – 165 .

10 امحمد مهدان ، **نظريات سوسيولوجية معاصرة** ، طباعة ونشر سوس ، اغادير المغرب ، 2013 ، ص 22

. **11** M. Crozier **"sociologie du syndicalisme"**, ed. du seuil . paris, 1970, P. 180

---

12 آلان تورين ، **نقد الحداثة**، ترجمة أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة، 1997 ص ص 310- 314.

13 عبد المال ورد ، **في مشروعية الحركات الاجتماعية الجديدة** ، نقلا عن الموقع ttp://www.aranthropos.com

14 عبد العزيز خواجة ، **اساسيات في علم الاجتماع** ، دار نزهة الالباب ، غرداية ، الجزائر ، 2012 ،ص ص 176-177 .

15 نفس المرجع السابق ، ص 178 .

16 Alain Touraine, **Critique de la modernité**, Paris, Fayard, 1992, p 410.

17 وهيبة روابح ، **اشكالية الصدق الامبريقي لاطروحات ميشال كروزيه** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا ، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر ، 2008 ص ص 81-82 .

18 Alain Touraine. **Le retour de l'acteur**, paris, fayard, 1984, p36

19 عبد العزيز خواجة ، **مرجع سابق** ، ص 180 .

مجلة حقائق